الديانة المسيحية بين التأصيل والنقد
في فلسفة نيتشه

أ/ عبد الغاني عليوة
جامعة سطيف

Abstract:

This article aims to highlight the genealogical side of the Christian religion (Christianity) in the works of the philosopher Friedrich Nietzsche, distinguishing between the old and the New Testament; between the authentic Christianity erected by Jesus and the New Testament founded by Saint Paul, and then the most important principles on which the values of the latter were constructed. Then, the article highlights the historical reversal known by the hammer philosopher "Nietzsche" over his inherited dogmas.
Keywords: genealogy, religion, criticism, values.

ملخص:
يهدف هذا المقال إلى إبراز الجانب الجينيالوجي[1] للديانة المسيحية في كتابات الفيلسوف فريدريك نيتشه، ذلك بالتمييز بين العهدين القديم والجديد، بين المسيحية الأصيلة التي جاء بها يسوع عيسى عليه السلام والمسيحية الجديدة التي أسس لها القديس بولس، ثم أهم المبادئ التي بنيت على صرحها هذه الأخيرة. بعدها يشير المقال إلى الانقلاب التاريخي المعروف عن فيلسوف المطرقة على معتقده الموروث.
الكلمات المفتاحية: الجينيالوجيا؛ الدين؛ النقد؛ القيم...

مقدمة:

تُعد اللحظة النيتشوية منعطفا نوعيا في تاريخ الثقافة الغربية، إذ تكمن نوعية هذه اللحظة في كونـها لم تقدم رؤية تراكمية كإثراء وتعميق، أو تواصل لتطور الوعي الفلسفي الغربي، بل غيرت تماما طريقة إدراك المعنى وبدلت إستراتيجية التأويل. لقد توجهت مطارق النقد النيتشوي إلى القيم الثقافية الغربية التي قام عليها كل التراث الفلسفي، كالثقة في العقل، وشعارات التقدم والحداثة والعلم، وتفاؤلات الأنوار وغيرها.

لقد كان محور فلسفة نيتشه عمومًا مشكلة القيم، سيما القيم الدينية الموروثة، وعلى الأخص قيم الديانة المسيحية، إذ ذهب في تنقيباته للبحث في المنابع والأصول، والغاية هنا ليست الغوص في ثنايا التاريخ، بل الهدف من ذلك هو البحث عن سر انحطاط الثقافة الغربية وارتكاسها، يرى نيتشه في كتابه **هو ذا الإنسان**؛ أن مفهوم (الإله) قد تم ابتداعه كنقيض للحياة- ففيه يتلخص ضمن وحدة مرعبة كل ما هو مسيء ومسموم ومفتر وكل كره للحياة. وأما مفهوم العالم الآخر والعالم الحق فلم يتم ابتكاره إلا من أجل التقليل من قيمة العالم الوحيد الذي يوجد حقًا- وذلك حتى لا يبقى لواقعنا الأرضي أي هدف ولا أي معنى ولا أية مهمة!

أما مفهوم الروح والنفس، وبنهاية الأمر مفهوم الروح الخالدة فلم يبتدع إلا من أجل احتقار الجسد وجعله مريضًا – أي مقدسًا- ومن أجل حمل أفظع لامبالاة تجاه كل ما يستحق الجد في الحياة – من مسائل الطعام والسكن والنظام الفكري والرعاية التي يجب منحها للمرضى والنظافة والجو القائم، فبدلاً عن الصحة يتم تقديم خلاص الروح – وأعني بذلك (حمقًا دائريًا) يبدأ من تشنجات التوبة والندامة وينتهي بهستيريا التكفير! كما أن مفهوم المعصية بالتزامن قد ابتدع مع أداة التعذيب التي تكملها: أي مفهوم حرية الإرادة الإنسانية؛ وذلك بهدف التشويش على الغرائز وبناء الحذر منها كطبيعة ثانية، قد يُلخص لنا هذا الخطاب المعنى أو الدلالة التي لأجلها وضعت جُلَّ القيم والتعاليم الدينية المعروفة لدى نيتشه، لكننا لا نكتفي بتلكم الدلالات، لما يلوح إلى أذهاننا من تساؤلات، بغية فهم عمق ردة نيتشه عن واقعه وتراثه الثقافي والديني، وهي كالأتي:

- ما هي أهم العوامل التي ساهمت في تكوين صرح معالم الديانة المسيحية وأخلاقها في نظر نيتشه؟ ثم ما قيمة هذه التعاليم الأخلاقية الدينية في فلسفته؟ وهل من تطلعات نيتشوية لإرساء وخلق منظومة قيمية مغايرة؟

أولاً- من أخلاق يسوع إلى لاهوت بولس.

لم تكن رسالة المسيح عيسى بن مريم التي جاء بها من عند الله إلاّ إحدى ديانات بني إسرائيل التي توالت بعد رسالة موسى عليه السلام، وهي رسالة خاصة باليهود، ومكملة للرسالة الأم، أو محررة لمفاهيمها، أو منقية لعنصر من عناصرها الذي أصابه الفساد، ورسالة عيسى عليه السلام ما هي في جملتها إلاّ مجموعة من الوصايا التي تصحح الجوانب التي أصابها الاضطراب من الديانة اليهودية.

"ولم تكن رسالة المسيح عيسى بن مريم رسالة مستقلة، ولا دينًا عالميًا، ولكنها كانت عملاً مكملاً خاصًا لليهود في ظل تحديات خطيرة انحرفت عنها الرسالة الأصلية حين غلب تكالب اليهود على المال، وبلغ الربا أقصى مداه، وبلغ اليهود غاية الظلم والعسف والانتقام.."[(2)]، والمسيحية كانت ديانة موحدة تدعو إلى الزهد في الدنيا، والتطلع إلى الآخرة، ديانة تقوم على الإيمان بالبعث والقيامة والجزاء والجنة والنار، وتجنح إلى التخفيف من قسوة المادية التي وصل إليها اليهود في هذه المرحلة من حياتهم.

كانت تعاليم السيد المسيح تركز بالأخص على الحب والتسامح والصبر، وعدم الإيذاء أو التفكير في الانتقام. لهذا كان نيتشه يدافع عن المسيحية الأولى والأصلية كما أتى بها المسيح، وقد كان المسيح في نظره كائنًا مليئًا بالحب، ومؤسسًا لقيم الحب، وهو بذلك يمثل تأسيسًا قيميًا جديدًا يقف على النقيض من التأسيس القيمي اليهودي المبني على قيم الحقد. إلاّ أن الإنجيل قد مات على الصليب، وكل ما سمي إنجيلاً بعد ذلك هو على نقيض تمامًا، ويعني أنه لا يوجد إلا مسيحي واحد. ومنه فإن النظام الذي سارت عليه الكنيسة بعد المسيح هو السبب في انحرافاتها كما يقول نيتشه " إن الكنيسة لم تكن صورة هزلية فحسب، بل كانت حربًا منظمة ضد المسيحية"[(3)]. على الرغم من أن نيتشه كان حادًا في هجومه على المسيحية، فإنه كان يميز بين مسيحية أولى ومسيحية تالية.

كانت أصول العقيدة المسيحية، إبان المرحلة التي سبقت مجمع نيقية[(4)]، لا تزال في الطور الضبابي، إذا أمكن القول. لم تكن الحقائق الإلهية قد أصبحت بعد تلك النجوم الثابتة التي سيشع بريقها في القرون اللاحقة. فلقد كان يتم تفسير النصوص المقدسة وفق مشيئة كل من أولئك الذين ينصرفون إلى ذلك، ووسط المشادات والصياح وُلِدت الكريستيولوجيا، أو مجمل

النظريات المتعلقة بشخص المسيح وعلاقاته بالله وبالإنسان. وسجلات تلك الحقبة كانت لا تزال تنحي جانبًا مسألة الثالوث، التي ستثير لاحقًا جدالات عنيفة جدًا؛ فلن يعلن بروزها، قبل ظهور الأريوسية وإدانة مجمع نيقية الأول لها.

إن هرطقات القرون الثلاثة الأولى يمكن أن تختصر بأربعة اتجاهات رئيسية تتشابك، فضلاً عن ذلك، أو تتراكب غالبًا بسبب التوفيقية الدينية التي كانت رائجة آنذاك:

1- **العرفان gnose:** أو الوجوه الخفية لعلم نشأة الكون، والسوتريولوجيا (أو عقيدة الخلاص)، وهي وجوه تتميز عمومًا بوجود الثواني، أو الأيونات (éros)، وهي كائنات وسيطة بين الله والعالم المادي؛

2- **الثنوية**، أو النظرية التي تميز مبدأين في العالم، الخير والشر، والتي تعتبر النفس والجسد جوهرين مستقلين تمامًا؛

3- **الدوسيتية** (من اليونانية دوكيو dokéo)، وكانت تعتبر أن يسوع الإنسان لم يكن غير ظاهر؛

4- **الوحدوية**، التي تتمسك بالتوحيدية الأكثر دقة، ولا تعترف، تاليًا، بالثالوث[5].

1- اليهودية- المسيحية

إن مسألة العلاقة التي تربط الديانتين اليهودية والمسيحية، أكثر تعقيدًا مما يبدو، غير أن نيتشه لم يكن جاهلاً بذلك، بل كان متصدرًا علوم عصره، والفضل في ذلك قد يعود إلى دراساته للاهوت، إضافة إلى تكوينه في علم اللغة (الفيلولوجيا). يقول نيتشه في إحدى شذرات كتابه الفجر "إني أتحدث عن محاولة تخليص اليهود من العهد القديم: زعمًا أن هذا العهد لا يحتوي إلا على تعاليم مسيحية، وهي ملك للمسيحيين باعتبارهم الشعب الحقيقي لإسرائيل: لكن في حقيقة الأمر اليهود لم يعملوا إلاّ على استحواذ ما ليس من حقهم. بعدها تم الاستسلام لهذيان من الشروحات و التوضيحات، التي لا تتوافق ببساطة مع الضمير: فالعلماء رغم احتجاجهم على العهد القديم، باعتباره قضية المسيح...ولأننا كنّا في حرب ضد العدو لم نكن نفكر في الاستقامة"[6]، و يذهب الفرنسي فيليب غودان Philippe Gaudin في تفسيره لهذه العبارة بالقول أن التنافس بين اليهود واليهو-مسيحيين، فتح شيئًا فشيئًا "ألطافًا"، وهذا في نظره له دورٌ أساسيٌ في ميلاد المسيحية. ونيتشه يرفض طريقة القراءة الاختزالية للمسيحية، ليس لعدم وجود علاقة مع نمط الكتابة أو تحديد دافع تلك الكتابات. النتيجة مضاعفة، إن لم نقل أنها متناقضة: فالمسيحية كبناء تاريخي كهنوتي هي قطيعة كلية مع الديانة القديمة، لكن المسيح ظهر في الوقت نفسه وهو منغمس في يهوديته، وفي ظرفه المميز اليهودي. هذا يحدد ثنائية القيمة في نظر نيتشه، بين اليهودية والمسيحية. نيتشه يثني دائمًا على المسيحية الأولى عن التالية، يرى في هذه الأخيرة أنه ثمة أمرًا خطيرًا يتمثل في تهويد العالم؛ فكل ما تدعو إليه الكنيسة فهو مخالف تمامًا لرسالة المسيح[7].

لما كان اليهود، على المستويين الجغرافي والنفسي أول أتباع الإيمان الجديد، كان طبيعيًا جداً ألاّ تكون اليهودية تخلت، من دون قتال، عما كان يمكن، من بين مبادئها، أن يكون قابلاً للتوفيق مع العقيدة المسيحية، إلا أن نيتشه يقول:" هنا فقط أريد أن ألامس مشكلة نشوء المسيحية. والاقتراح الأوّل لحل ذلك يقول: المسيحية يمكن فهمها فقط انطلاقًا من الأرض التي نشأت فيها. إنها ليست انتهاضًا ضدّ الفطرة اليهودية، بل بالعكس، نتيجتها ذاتها، ومنطقها الهياب مؤدى به إلى خاتمة لازمة. في وصفة المخلص نفسه [يوحنا 22:4] ((الخلاص يأتي من اليهود))"[8]. ولقد كان يوجد في الحقبة الرسولية[9]، اتجاهان في الإيمان

اليهو-مسيحي: كان أحدهما يعتبر أن الإنجيل لم يُلغ الناموس، وينبغي الحفاظ على سبيل المثال، على طقس الختان؛ أما الثاني، الأكثر اعتدالاً، فكان يقبل، بخصوص الوثنيين المهتدين إلى المسيحية، بإمكانية عدم الالتزام بالأنظمة القانونية الخاصة بشريعة موسى عليه السلام.

في حال الالتزام بالرأي الأول، كان ذلك يقضي بجعل المسيحية بدعة دينية يهودية؛ أما في الحالة المعاكسة، فكان ذلك يعني خلق فئتين من المسيحيين، فئة (التامّين)، وفئة (المتهودين). وهذا هو ما حصل، فضلاً عن ذلك، في البدايات: كان أنصار العدل يخضعون لكل أنظمة الشريعة الموسوية، بحيث كان الختان يتضافر مع مسارَّةٍ[10] يبدو أن العماد كان جزءًا منها، في حين أن أنصار الباب (Le Pape)، وكانوا وثنيين سابقين، لم يكن في وسعهم الدخول إلاّ إلى النطاق الأول للهيكل، وبعد عبور(باب الوثنيين)؛ هم الذين تدعوهم أعمال الرسل[11] (الناس الأتقياء)، (الناس الذين يخافون الله).

لقد كان بولس Paul[12]، رسول الوثنيين، بوصفه الرائد الحقيقي للكنيسة الجامعة، هو المؤسس الحقيقي للمسيحية، حيث يقول نيتشه:" إذّاك ظهر (بولس).. بولس الذي هو بغضاء الشاندالا[13] متجسّدة، ومتحوّلة إلى عبقري داهية ضدّ روما، ضدّ العالم؛ إنه اليهودي، اليهودي الخالد بتميّز والجوّال الأبدي"[14]، يُعد بولس في نظر نيتشه المؤسس الحقيقي للمسيحية المزيفة معبدًا الطريق للكهنة لاستيلائهم على السلطة، حيث " حوّل ممارسة حياة القلب النقي إلى كنيسة ذات عجائب، وكهنة، و نظام مثوبات وعقوبات. وجعل من يسوع (ابن) الله الذي يضحي بنفسه لغفران خطايا العالم. والقديس بولس يبتدع العالم الآخر و يوم الحساب والصعود إلى السماء.."[15]، وليس المسيح ابن الله بالنسبة لنيتشه، بل هو صاحب القلب المتناهي الطيبة، رجل السلام الصالح. المسيحية في نظر نيتشه من عمل القديس بولس أكثر مما هي من عمل الناصري. كان بولس ملمًا بالفلسفة اليونانية في عصره، وكان عالمًا باليهودية، وعارفًا بديانات عصره. ما مكنه من نقل مختلف خيوط الفلسفات والأديان إلى المسيحية، وصاغ منها عقيدة جديدة لم يقل بها المسيح، " فأدخل بولس على ديانته بعض تعاليم اليهود ليجذب إليه العامة من اليهود، وأدخل صورًا من فلسفة الإغريق ليجذب إليه أتباعًا من اليونان"[16]، فهو لم ينفر من الطقوس الوثنية، بل اقتبس كثيرًا منها حتى يضمن نشر ديانته بين الوثنيين، فعلم الناس أن عيسى عليه السلام لم يكن المسيح الموعود فحسب ولا زعيم اليهود الموعود فقط، بل إنه ابن الله. نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قربانًا، ويصلب تكفيرًا عن خطيئة البشر، فموته كان تضحية مثل ممات الضحايا القديمة من الآلهة في أيام الحضارات البدائية من أجل خلاص البشر، فهذا ما شجع على انتشار الرذيلة في المجتمعات الغربية الحديثة والمعاصرة.

لقد جعل بولس من الديانة المسيحية دينًا عالميًا، كما فصلها عن اليهودية، واعتبر المسيح ابن الله، بعثه أباه ليكون فداءً للبشرية كما سبق ذكرنا، وكفارة عن ذنوبها وخطاياها منذ ما أسماه خطيئة آدم " ..لقد وهب الله ابنه لمغفرة الخطايا، كأضحية استغفار... الذبيحة التكفيرية في شكلها الأكثر إثارة للاشمئزاز، الأكثر بربرية، التضحية بالبريء لغفران خطايا المذنبين. أية وثنية هائلة!!"[17]. لكن نيتشه يتساءل عن من قتل المحب يسوع " فقط حينها تنفتح الهاوية: من أماته؟ من كان عدوه الطبيعي؟ هذا التساؤل ينطرح مثل برق. والجواب: السلطة اليهودية، صنفها الأعلى"[18]، هنا فُهم أن يسوع كان متمردًا ضد النظام، في حين ما كان

ينقصه حسب نيتشه هو الذهنية الحربية، ومنه من التناقض القول عنه أنه كان متمردًا، وتلامذته لم يكن فهمهم سليمًا لما كان يحدث مع معلمهم.
أقرّ بولس بالتثليث، أو الأقانيم الثلاث (الأب، الابن، والروح القدس)، ووضع رسائل تعد الآن مصدر التشريع في المسيحية، مما يعن بأنه حرّف وبدّل كل ما جاء به المسيح عيسى عليه السلام. يعارض أولئك الذين كانوا يقولون؛ إذا لم تكونوا مختونين بحسب شريعة موسى، لا يمكنكم أن تحصلوا على الخلاص،" أعفى المسيحيين الجدد من فريضة الختان التي كان اليهود يفرضونها على أنفسهم، كما أعفاهم من كل الطقوس والعبادات"[19]، و قد جعل وجهة نظره تنتصر في الجمعية التي التقى فيها الرسل والشيوخ في أورشليم. إلاّ أن المتحمسين للإيمان واصلوا تحريضهم في أنطاكيا وغلاطية؛ فبالنسبة إليهم، هم الأنصار المتأخرين لليهودية الفرّيسية، كانت الأمة اليهودية ستعرف مستقبلاً مجيدًا في ظل المسيح- الملك. وقد كانت هذه التوفيقية اليهو- مسيحية بناء سريع العطب جدًا بحيث لن تصمد أمام الاندفاع الظافر للديانة الكوسموبوليتية الجديدة. صحيح أنها بقيت موجودة في القرنين الثاني والثالث، ولكن سرعان ما اختفت بعدئذٍ، لعجزها عن حل مأزق الانتماء: إلى اليهودية أو إلى المسيحية[20].
وجاء بولس ببشرى عودة المسيح مرة أخرى، وهي بشارة سيئة في نظر نيتشه "الذي قام به بولس ببساطة كان نقل مركز الثقل ونقطة الجاذبية لكامل ذلك الكيان إلى ما وراء ذلك الكيان ووضعه في كذبة يسوع المنبعث... غنه ابتداع بولس، ووسيلته للتسلط الكهنوتي، ولتشكيل القطعان: الاعتقاد بالخلود- وهذا يعني عقيدة (الدينونة)"[21].
انتهى بولس إلى تأسيس عقيدة تقوم على ثنائية الوجود التي سبق وأن دعا إليها أفلاطون في فلسفته، ديانة تمجد السماء على الأرض، الماورائي على الطبيعي، ديانة قائمة على قيم ميتافيزيقية، قيم الانتقام من هذا الواقع، إنها " عقيدة جديدة تمزج المسيحية بالأفلاطونية الجديدة، وكذلك بالمعتقدات المصرية الفارسية والهندية، وقولهم بإلهيين. أحدهما إله الخير، وهو إله المسيحية في (العهد الجديد) لأنه يدعو إلى الحب والسلام والصفح عن الأعداء، والأخر إله الشر، وهو يهوه إله اليهودية في (العهد القديم) لقسوته وحبه للانتقام، وحكمه بأن العين بالعين"[22]، وهذا ما كان يرغب بولس الوصول إليه، يرى نيتشه أن الديانة اليهودية- مسيحية لم تنتصر إلا لأن الديانة الإغريقية الوثنية القديمة انهارت خاصة مع ظهور الفلسفة السقراطية التي أدت إلى فساد الأصل، وتزييف النقاء الذي ميّز الحضارة اليونانية، فأصيبت الإرادة بالوهن والتعب والمرض من جراء قمع الغرائز الديونيزوسية المحفزة للحياة، بهذا تكون الفلسفة السقراطية باعتبارها عقلانية مريضة تعارض مبدأ الوجود الذي زرعه نيتشه في الكون، وجعله شعارًا له وهو" أن يفرض على الإنسان الكفاح ضد غرائزه، هذه هي صيغة الانحطاط، ما دامت الحياة في تصاعد، فالسعادة والغريزة شيء واحد"[23]، أما إعجابه بآلهة الإغريق يعود إلى كونها حققت لهم البهجة الحقيقية التي دفعتهم إلى الإقبال على الحياة والإبداع فيها.
وهكذا إذن كانت جهود المسيحية واليهودية وحتى البوذية قد تركزت، في نظر نيتشه، لنشر قيم الانحطاط وتثبيت فكرة العالم الأخر، وهي فكرة لم تكن في الأصل حاجة تقتضي من الإنسان أن يرضيها؛ و لكن خطأ في تفسير بعض الظواهر[24].
2- المصادر الفلسفية للاّهوت المسيحي:

لقد ساد اعتقاد لدى الكثير من المثقفين أن الأسس الفلسفية اللاهوتية للمسيحية من وضع القديس بولس في البداية ثم إضافات القديس أوغسطين (أوغسطينوس)، والقديس توما الإكويني (توماس أكويناس)، غير أن أصحابُ تلك الأسماء اقتصر دورهم على تقديم اللاهوت المسيحي في صورة فلسفية، تلك الصورة الفلسفية لم تكن من وضعهم هم، لكنها كانت من وضع فلاسفة وثنيين سابقين على المسيحية مثل (أفلاطون Platon) ولاسيما نظريته في المُثُل وقِدم الأرواح وغيرها، لذلك فإن دراسة الفلسفة الأفلاطونية جزء أساسي من أجزاء المنهج التكويني في كليات اللاهوت، لا سيما الكاثوليكي، في جامعات الغرب منذ زمن بعيد إلى يومنا، و ما يؤكد ارتباط هذه الديانة بالفلسفة الأفلاطونية قول نيتشه الذي يجهر من خلاله على إلحاده أيضًا عندما يقول:" نحن الذين لا ربّ لنا والمناهضون للماورائيين، نحن أيضًا نستمد شعلتنا من تلك النار التي أشعلها اعتقاد عمره ألاف السنين، هذه المسيحية التي كانت أيضا عقيدة أفلاطون والقائلة أن الرب هو الحقيقة وأن الحقيقة ربانية"[25]. إضافة إلى أفلاطون استفاد اللاهوتيون بشكل أكبر ومُركز من فيلسوف معاصر للمسيح لا يعرفه كثير من الناس لكنه ذو أثر خطير جداً على الفكر الفلسفي المسيحي، وهو الفيلسوف اليهودي فيلوس ألكساندريوس (فيلون السكندري) صاحب نظرية اللوجس الشهيرة والتي تبناها (يوحنا) اللاهوتي في إنجيله وعليها مدار العقيدة المسيحية في جزئها الأول، وهي عقيدة التثليث. أما الفيلسوف الثالث من الفلاسفة الوثنيين الذين استخدم اللاهوتيون تعاليمهم لصياغة الفكر الفلسفي المسيحي فهو (أفلوطين) أبرز مفكري المدرسة الأفلاطونية الحديثة والذي وُلِد بعد عصر المسيح وعاش في مصر ثم في روما .هؤلاء الثلاثة هم الفلاسفة الحقيقيون للفلسفة اللاهوتية المسيحية. أما اللاهوتيون المتقدمون كبولس الرسول أو يوحنا الإنجيلي، أو آباء الكنيسة كأوغسطينوس وبوئيثوس أثناسيوس السكندري، أو المدرسيون كتوماس أكويناس، ومارسيليو دي بادو وغيرهم فاقتصر دورهم على صياغة تلك التعاليم الفلسفية في قالب لاهوتي بسيط، وبرغم ذلك لم يتقبله العقلُ، مما دعا بتوما الإكويني لصياغة نظريته الشهيرة في مذهب الحقيقة المزدوجة، والتي تزعم أن فكرة ما ربما لا يقبلها العقل وتكون برغم ذلك صحيحة لاهوتياً، وهي نظرية فاسدة الهدف منها ترويج اللاهوت المسيحي بين الناس على أساس أنه مسألة قلبية، ومازالت تلك النظرية الأكوينية سائدة في الأوساط الكنسية المختلفة إلى يومنا هذا.

فإذا رجعنا إلى مثلث الفلاسفة المؤسسين لفلسفة اللاهوت المسيحي، أفلاطون فيلون وأفلوطين، لوجدنا اثنين منهما قد عاشا في مصر، وهما فيلون وأفلوطين، مما يلقي بظلالٍ من الشك حول مدى استفادتهم من الفلسفة المصرية القديمة ولا سيما فلسفة الصليب وفلسفة الثالوث أوزوريس وايزيس وحورس بسميائيتهما الواضحة، لصياغة فكر تثليثي جديد تم تطويره وتطبيقه على الفكر المسيحي في صورة جديدة تستند على دعامتين تشكلان محور اللاهوت المسيحي وهما دعامة الأقانيم الثلاثة، أو الإله الواحد الجوهر المثلث الأقانيم، ودعامة الصلب والفداء.

فيلون Philon : ولِد فيلون يوديوس (أي اليهودي)، ويعرف كذلك باسم فيلون ألكساندريوس (في الإسكندرية) بمصر عام 20 قبل الميلاد، وتوفي عام 50 ميلادية، وهو بهذا يكون معاصراً ليسوع وبولس. سعى فيلون لإحداث مصالحة وتوفيق بين الفلسفة الكلاسيكية من جانب والعهد القديم اليهودي من جانب آخر" بيد أنه سعى، في حوالي 50 كتابا وضعها باليونانية، أن يدمج التوراة بأفلاطون"[26]، فخرج بنتائج عجيبة، فمثلاً:

تقرر الفلسفة الكلاسيكية، لا سيما البلوتونية، مسألة قِدم وأزلية مادة العالم، بينما يقرر العهد القديم حدوث العالم نفسه، فأراد فيلون التوفيق بين المدرستين فقال إن الله أحدثَ العالمَ، لكن ليس من العدم، بل من المادة الأزلية. جديرٌ بالذكر أن هناك آراء فلسفية إسلامية تتبنى هذا الرأي كرأي الفيلسوف ابن سينا أو الفارابي مثلا، فهما؛" لم يقولا بقدم العالم كما قال به أرسطو، بل غير آراءه بما أضافاه إليها من مبادئ الفلسفة الاسكندرانية، ليجعلاها مطابقة لأصول الدين"[27].

أما الأثر الأكبر لفلسفة فيلون على اللاهوت المسيحي فيتجلى في قضية اللوجوس، إذ قام بتطوير علم اللوجوس الإلهي وعرض قضية تثليث الإله وفق نظريته تلك، فيرى فيلون أن خلق العالم حدث عن طريق الكلمة الإلهية، أي: اللوجوس، واصفاً تلك الكلمة بصفات محددة مثل: مثال المُثُل، قوة القوى، المبعوث الأعلى، الإله الثاني، الولد البكر للإله وغير ذلك من النعوت التي ينعت بها المسيح عيسى عليه السلام. وفق هذه الفلسفة يرى فيلون أن اللوجوس هو حلقة الوصل بين الله والعالم، " لقد قدره كثيرًا أباء الكنيسة الأوائل، الذين استخدموا بشكل خاص الطريقة الرمزية التي خلقها"[28]، على الرغم من أن فلسفته مائعة وغير قياسية، ومنظومته تفتقر إلى الدقة والتماسك، فإنها كانت تخلط بين اليهودية والأفلاطونية والرواقية، وكانت غايته هي جعل اليونانيين يسلّمون بالقيمة الجامعة لشريعة موسى.

كما تأثرت المسيحية بفلسفة التثليث التي صاغها أفلوطين في بدايات القرن الميلادي الثالث، فإنها تأثرت وبدرجة أعمق بفلسفة اللوجوس والتثليث الفيلوني في بدايات المسيحية، ويؤكد مؤرخو الفلسفة على أن فيلون ألسكاندريوس هو المؤسس الحقيقي لفلسفة التثليث المسيحية، تلك الفكرة التي تلقاها بولس الطر سوسي وقام بإلباسها ثوباً يسوعياً يشكل أحد أهم مرتكزات اللاهوت المسيحي البوليسي.

أفلوطين Plotin : لا يعرف أحدٌ على وجه الدقة شيئاً عن أصل أفلوطين، وكل ما هو معروف عنه بهذا الصدد، أنه ولِد في مصر في عام 204 ميلادية، ونشأ وفق تقاليد يونانية خالصة، وتوفي بروما عام 270 ميلادية، وكان آخر مفكري العصر الروماني الكبار.

تأثر أفلوطين بالفلسفة الأفلاطونية وكان أول ما فعله بعد استقراره في روما أن أنشأ مدرسة فلسفية أفلاطونية وظل يدرس بها نحو عقداً أو عقدين (على اختلاف الكُتّاب) أسس خلالها قواعد الفلسفة الأفلاطونية الحديثة.

يمكن تلخيص الفلسفة اللاهوتية لأفلوطين في جمل محدودة حيث اعتقد في إلهٍ مثلث الأجزاء، وكان الثالوث الأفلوطيني يختلف عن الثالوث المسيحي في أمرين:

- تكون الثالوث الأفلوطيني من "الواحد" و"الروح" و"النفس"، بينما تكون الثالوث المسيحي من "الأب" و"الابن" و"الروح القدس."
- مثَّلت أجزاء الثالوث الأفلوطيني درجات بعضها فوق بعض، بينما يمثل الثالوث المسيحي درجة واحدة من حيث الجوهر لكنها مثلثة الأقانيم.

لكن يمكن القول أن اللاهوت المسيحي قد استفاد كثيراً من الفلسفة الأفلاطونية الحديثة التي كان أفلوطين أبرز روادها، لذلك قال نيتشه في (كتاب عدو المسيح Antéchrist)؛ (إن المسيحية هي أفلاطونية حديثة بالنسبة للشعب البسيط)، وقد أكد ذلك المعنى الفيلسوف الألماني الكبير مارتين هايـــدجر Martin Heidegger في (كتابه نيتشه).

تندرج فلسفة أفلوطين تحت إطار "الفلسفة الأفلاطونية المحدثة"، وهذه تندرج بدورها تحت الإطار العام للفلسفة الكلاسيكية أي (الفلسفة اليونانية والرومانية القيصرية)، وبين الإطارين

توجد حلقة وصل تمثلها إرهاصات تقوم على دعامتين: الفلسفة "الفيثاغورسية" الحديثة وفلسفة فيلون ألكساندريوس. وإذ يقول المفكر الفرنسي مونتيسكيو؛ إن الإنسانَ ابنُ بيئته، فيمكننا إذن رصد البيئة الفكرية التي تولدت عنها فلسفة أفلوطين بصفة عامة وفلسفته في التثليث بصفة خاصة، وهي بيئة ذات ثلاث شُعب، هي: (1)- الفلسفة الكلاسيكية عموماً والأفلاطونية خصوصاً. (2)- فلسفة فيلون ألكساندريوس. (3)- الفلسفة المصرية الدينية القديمة.

أما عن المسيحية الحالية يمكننا القول أن المسيحية بصورتها الحالية لا تمثلُ ديناً، لكنها تمثلُ فلسفةً بكل ما تحمله الكلمة من معاني، وهي نسخة مبسطة متولدة عن الفلسفة الأفلاطونية الحديثة، وما أدق وصف الفيلسوف نيتشه للمسيحية حينما أشار إلى أن المسيحية تمثلُ الصورة الشعبية المبسطة للفلسفة الأفلاطونية الحديثة كما سبق وأن ذكرت، وهذا ما دعا آباء الكنيسة ومفكريها، وتحديداً قديس الكاثوليك توما الأكويني إلى ابتكار حيلة أو مخدر لتمرير تناقضات المسيحية على عقول البسطاء فوضع مذهب الحقيقة المزدوجة، لذلك فإنك كثيراً ما تسمع من اللاهوتيين، فضلاً عن العوام بطبيعة الحال، إقرارهم بامتناع اللاهوت المسيحي على العقل، ومع ذلك فإنهم يقبلونه باعتباره حالة قلبية إيمانياً، لذلك ينبغي تفهم قول الفيلسوف الألماني المادي كارل ماركس في قوله الدين أفيون الشعوب، إلا أننا يمكننا تعديل عبارته لتصبح؛ المسيحية البُولِسِية أفيونُ الشعوب.

3- حركة الإصلاح البروتستانتي:

لقد كانت لعنة نيتشه للمسيحية نابعة من موقفه النقدي لهذا الدين الذي يَعرف عنه الكثير منذ صباه، وشدة كرهه له تتجلى أكثر في انتقاده لحركة الإصلاح الديني البروتستنتية التي كان يقودها رجل ألماني من الشمال، والذي حسب نيتشه لا يفهم حساسية وفطنة الجنوب باعتباره رجل من عامة الناس يكره بدوره أمراء الكنيسة، إنه مارتن لوثرMartin Luther، الذي كان يبحث بدوره عن خلاصه.

في ظل حضارة متقدمة، واحتياجات معقدة ومتناقضة، وفي بلد كانت الروح الاقتصادية قد أبقت فيه من دون قيود سلطة الأسياد العلمانيين والكنسيين، كان شعب الأقنان في قمة البؤس؛ لذا كان يسهل إغراؤه بخطب أولئك الذين كانوا يتنبأون بمملكة الله في شكل نظام حكم لا يعود فيه أغنياء أو فقراء. و لهذا كان الإصلاح ناجحًا في الشمال، والفضل في ذلك يعود إلى ذلك الرجل البسيط والوقح على حد تعبير نيتشه المدعو لوثر، لهذا يسجل نيتشه في الفقرة 68 من كتابه (**الفجر Aurore**)؛ نوع من التقارب بين هذه الشخصية وشخصية المؤسس الأول للمسيحية (القديس بولس Paul)، فالاثنان لهما إرادة قوية للسيطرة، ما يعني أن لهما نزعة عدوانية قوية وإرادة الانتقام وشدة الحقد، وهي رغبة لا يحملها إلا أراذل الناس أمثال اليهود[29]. عندما أراد لوثر أن يصبح المثل الأعلى في ديره، لم يكن كذلك إلاّ ليوم واحدٍ فبدأ يكره تلك المثالية الروحية، ويكره البابا، والقديسين، وكل رجال الدين كراهية قاتلة حقًا، بهذا سيكرر لوثر ما فعله بولس. هذا الأخير الذي يعتبره نيتشه كما سبق الذكر أنه المسيح الأول، قبل ذلك لم يكن سوى" عدد قليل من الطائفيين اليهود"[30]، لوثر إذن سيكون مثل بولس منظرًا لأكبر ديانة، بأكبر حقد وكراهية، لأن ذلك يجسد بامتياز تلك العقيدة التي يوجه لها نيتشه كل كره وعدوانية. فالادعاء الأساسي للوثر، هو ضرورة قراءة بولس باعتباره المرجعية. والخلاص في نظره يكون بالإيمان لا بالأعمال، في كتابه جينيالوجيا الأخلاق ينعت نيتشه لوثر بذلك " الفلاح المتكبر المتبجح الذي يريد التحدث مع إلهه بأي حال من

الأحوال"[31]، رغم ذلك فهو يحض بإعجابه، لكونه يملك الجرأة والشجاعة النابعة من شهوانيته، كما كان يعتبر لوثر أكبر و أعظم واعظ في ألمانيا، وتقوم دعوته على المبادئ التالية:"

- البابا ما هو إلاّ كبير المرشدين، وليس خليفة للمسيح.
- رجل الدين يُعزل إذا لم يقم بواجبه كاملاً.
- زواج الأساقفة ورجال الدين يصلح نفسيتهم.
- لكل مسيحي الحق في فهم الكتاب المقدس بدون رجوع إلى رجال الكنيسة.
- العشاء الرباني ما هو إلاّ رمز تذكاري، وفكرة تحول جسم المسيح ودمه على خبز وخمر أضحوكة"[32]، المجيء بتعاليم جديدة مثل هذه هو بمثابة اعتراف ضمني لما تحمله المسيحية المحرفة من هرطقات.

لقد ظهرت هذه الحركة في الوقت الذي أصبحنا نشعر فيه بالقرب من البرّ والتقوى كما يشير إلى ذلك نيتشه، حين تمكننا من التجاوز الذاتي للأخلاق كما أفصح عن ذلك نيتشه، كان يشرفه انتماؤه لعائلة أخذت مسيحيتها على محمل الجدّ. فنجده يقابل المسيح بالمسيحية، وينفر من المسيحية بشكلها الجديد، ولهذا أيضًا كان ينعت" الراعي البروتستانتي هو جدّ الفلسفة الألمانية، والبروتستانتية هي خطيئتها الأصلية"[33]، ولم يقف نيتشه في هذا الحد، بل اعتبر الكتاب المقدس (إنجيل المسيح عيسى) أفضل كتاب في ألمانيا، بالمقارنة مع كتاب لوثر المقدس، وكل باقي الأعمال ما هي إلاّ أعمال أدبية.

لقد انتصرت اليهو- مسيحية بفضل هذه الحركة الحاقدة الغوغائية (حركة الإصلاح الديني)، حيث جعلت اليهود أكثر هيمنة على المسيحية، حيث ذكر راسل أن هذه الأخيرة" كانت قبل حركة الإصلاح تُستمد من مصادر ثلاثة: تاريخها المقدس يهودي، ولا هوتها يوناني، وحكومتها وقانونها رومانيًا. وعندما جاء الإصلاح نبذ العناصر الرومانية، وحد من العناصر اليونانية، وزاد من قوة العناصر اليهودية زيادة كبرى"[34] كما ارتفع صوت الغوغاء اليهودية مرة أخرى مع أولئك الذين أشعلوا نيران الثورة الفرنسية إلى أن أطفأها نابليون الذي أعلن انتصار القيم النبيلة على الوضيعة، وما أن سقط نابليون حتى تفشت تلك القيم الوضيعة مرة أخرى، وهي قيم يرفضها نيتشه برمتها، ويرميها-حركة الإصلاح الديني- بأبشع التهم ويحملها مسؤولية انحطاط الحضارة الغربية وأدت إلى حلول العدمية.

ثانيًا- الديانة المسيحية بما هي ديانة منقضة للحياة

لقد كان هجوم نيتشه على الديانة المسيحية وثورته عليها جلية في جل مؤلفاته، فكان الإله[35] هو الشخصية الرئيسية في قصته الدرامية، وفلسفته من البداية إلى النهاية ترتبط بمشكلة الإله، ولربما كانت حملته الشعواء على المسيحية هي أعنف حملة في تاريخ المسيحية كله، وكان رفض نيتشه للمسيحية يعود في الحقيقة إلى طابعها الرعاعي، ومن جراء القيم الشعبية التي تسود فيها، حيث أشاعت قيم المرضى، وثارت ضد قيم الصحة والغبطة والطاقة الحيوية (Eros). و كان حقد نيتشه على المسيحية لارتباطها باليهودية، فيقول في كتابه العلم المرح" إن الخطيئة كما تنظر إليها المسيحية الآن وفي كل مكان وزمان تحكم أو حكمت فيه لبعض الوقت، هي شعور يهودي، اختراع اليهود، من وجهة نظر هذا المخطط المضمر سعت الأخلاق المسيحية في الواقع إلى تهويد العالم"[36]، على عكس ما كان سائدًا لدى اليونان عالم خال من الخطيئة، فكل خطيئة هي إهانة للاحترام، هي جريمة، هي وباء ينتشر بين البشر.

كان هذا الاعتقاد المسيحي قمة الانحطاط في تاريخ الحضارة الغربية، لأنه هو الذي قاد في نظر نيتشه مسيرة الانحطاط، وهو أيضًا أقوى ظاهرة في تضليل الإنسان الأوروبي، الانحطاط باعتباره" مرض لأنه نتاج قيم مريضة تحمل في ذاتها بذور فنائها. وهو يبدو في جوهره انتصارًا لقيم مريضة على قيم سليمة، أي انتصارًا للضعفاء على الأقوياء"[37]، ولهذا كان يعتقد نيتشه أن الحضارة الغربية الحالية متجهة، وبسرعة إلى نهايتها، لأن الناس فيها بدؤوا يشعرون" بأن كل شيء يسير نحو الانحطاط، لكي يتقلص يومًا بعد يوم إلى شيء أرق وأدق، وإلى شيء أكثر انهزامًا، وأكثر حيطة واحتراسًا، وأكثر رداءةً، وأكثر لامبالاةٍ أيضًا، حتى يصل إلى أقصى الأساليب الصينية والفضائل المسيحية"[38]، فهو يعيب "على الأخلاق المسيحية أنها حطمت كل فكرة عن تجاوز الإنسان لذاته، بأن وضعته في راحة داخلية، ورضى عن نفسه كلها تعد بالنسبة للعظمة الإنسانية أسوأ أنواع تنازل الإنسان عن حقوقه: إذ لا وجود للعظمة إلا في الحرية التي يبني بها الإنسان لنفسه –في الصراع والقلق- مصيرًا جديرًا به"[39]، يفهم نيتشه أن العقلية الدينية مناقضة للعقلية العلمية، فالأولى تفسر كل شيء وفق إرادات وقوى واعية بينما الثانية فإنها تعود إلى ما تجود به الطبيعة، ومنه تكون الألوهية حسب نيتشه عقبة تحول دون توكيد الإنسان لذاته.

فإذا كانت غاية نيتشه هي محاولة إعادة الثقة للإنسان، فإن ذلك لن يكون إلا بخطوة جريئة تتمثل في هجمة قوية على الأخلاق الشائعة، والقيم السائدة، الأخلاق التقليدية سواء كانت تتعلق بنزعة فلسفية، أو بنزعة دينية زاهدة، يشير المفكر العربي فؤاد كامل في كتابه (أعلام الفكر الغربي المعاصر) بالقول:" تتلخص حملة نيتشه على الأخلاق التقليدية في عنصرين: المعقولية الفلسفية، والزهد الديني.. الأول يؤدي إلى الانفصال عن الواقع العيني وعن الحياة، والثاني يؤدي إلى (إماتة الحياة) وكلاهما شر وبيل في نظر نيتشه"[40]، فالحياة هي الخير الأسمى، وكل ما يدعو إلى الزهد فيها، والقضاء عليها شر وخيم. حيث كلما سادة الأخلاق المسيحية باعتبارها أخلاق العبيد سبب ذلك في التدهور والانحطاط في المجتمعات الغربية الحديثة، نظرًا لسيطرة الدهماء وتزايد نفوذها، يصف نيتشه الأخلاق السائدة بأنها تمثل (غريزة القطيع) في الفرد، وحيثما تسود أخلاق العبيد تميل اللغة إلى التقريب بين كلمتي الطيب والأبله، فالإنسان الخير عند هؤلاء يجب ألا يكون خطيرًا، أن يكون طيبًا أبلهًا يسهل خداعه، ومن أخلاق العبيد الرغبة في الحرية والغريزة التي تنشد السعادة، هذا ما لا نجده عند السادة الأقوياء الذين لا يحتاجون إلى مثل هذه القيم، لكن الغريب هو أن" مياه الدين تنحسر وتترك من ورائها الغدران والمستنقعات، والأمم تتباعد عن بعضها البعض ويسود بينها الشقاق والعداوة...ويكاد كل شيء الآن على ظهر الأرض تسيّره أشد القوى شرًّ وفظاعة، تسيره الأثرة الراسخة في نفوس المالكين، وأصحاب السيادة الحربية"[41]. في مقابل هذه الأخلاق هناك أخلاق السادة، هي أخلاق تسعى إلى النهوض بالحياة، وتزيدها امتلاء وقوة. فالرجل النبيل يساعد التعساء أيضًا لكن ليس بدافع الشفقة بل بدافع القوة الفائضة، هو رجل يمجد ذاته لأنه رجلٌ قويٌ باعتباره يمارس قوته على ذاته أيضًا، يبتهج بكونه قاسيًا صارمًا مع نفسه ويحترم كل قسوة وصرامة، بهذا النوع من الأخلاق نصل في النهاية إلى المثل الأعلى للإنسان الذي يسميه نيتشه الإنسان الأعلى (السوبرمان)، غير أن الصراع بين نوعي الأخلاق يبقى قائمًا أبديًا،" فكل فترة من أخلاق السادة تعقبها فترة من أخلاق العبيد"[42]، وهذا ما يشكل الدورة التاريخية للأخلاق.

إذا كانت الأخلاق المسيحية هي أخلاق العبيد فإن الأصل في ذلك يعود إلى المنبع الرئيسي لها والمتمثل في الشعب اليهودي، الذي يحمل حقدًا دفينًا تجاه محاربيه، فهو لا يواجه أعداءه في ساحة القتال، بل مستخدمًا أساليب حرب أخرى كإفساد أخلاقهم. من هنا كان ينظر نيتشه إلى الأخلاق المسيحية فكشفها عن حقيقتها وما تنطوي عليه من مكر وخداع وزيف. فالحب المسيحي مثلاً في نظر نيتشه ما هو إلاّ نبتة نبتت من جذع شجرة الانتقام والحقد اليهودي[43].
لقد أعلنت الديانات عموما والمسيحية خصوصًا حربًا ضد العالم الأرضي في نظر نيتشه، وهي حرب معلنة باسم (الإله). ولا يقصد نيتشه في هذا السياق الإله اللاهوتي فقط، بل كل ما هو مثالي متجاوز للواقع الموجود في التجربة. وقد تمكنت المثالية من تغطية جميع أكاذيبها باسم الله، وباسمه شوهت الإنسان وسلبته حريته وأجبرته على السجود متعبدًا أمام قوى تفوقه، وجعلته يجثو أمام الإله ويخضع لقانون أخلاقي، ويتطلع إلى اتحاد صوفي مع الله كتطلع البوذي إلى العدم يقول نيتشه[44]، غير أن هذا التصور النيتشوي لا يشمل عقائد الأولمب أو العقيدة الإسلامية، بحكم أن هذه الأخيرة في نظره تقدس قيم القوة، على عكس المسيحية التي تكرس سيطرة الكهنة، والضعفاء والمرضى وكذا سيطرة العالم الأخر على الأرضي، هذا ما دفع بنيتشه إلى إعلان أن السلم والصداقة هما في الحقيقة مع الإسلام، كما أنه" يضع سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) في مرتبة الطبائع العليا، ويضع المجتمع الإسلامي الذي أسسه في مرتبة المجتمعات الحربية المقدسة"[45].
إذن" المفهوم المسيحي عن الله، الله كإله للمرضى، الله كعنكبوت، الله كروح، هو واحد من المفاهيم الأكثر فسادًا حول الله، التي شكلت فوق الأرض، وبالإضافة إلى ذلك، لعله يمثل المستوى الأكثر انخفاضًا في مجرى التطور المنحدر لنمطية الآلهة. الله متدني ليصير مناقضة للحياة، بدلاً من أن يكون تجليها الممجد، وأزليتها الموطدة. في مفهوم الله، تعلن وتذاع العداوة للحياة وللطبيعة، و لإرادة الحياة! الله صيغة لكل النسائم الكاذبة عن (الدنيا) ولكل كذبة عن (الآخرة). في الله يؤله العدم، وتقدس إرادة العدم"[46]. إذ لا يمكن للإنسان التحرر من قيود هذه العبودية إلا بموت هذا الإله الزائف، حينها يمكن للإنسان إثبات حريته، وأن يحرر قدرته الخلاقة بإعلانه (موت الإله)، وهذا ما بشر به زارادشت " بأن الإله قد مات"[47]، بعد حدوث ذلك لن يطلب الإنسان قيمًا متعالية، وهنا تبدأ مسيرته تجاه الأرض، فتفقد القيم الأخلاقية و العقائد الميتافيزيقية السابقة قوتها، كما تفقد الرعاية الإلهية رتبتها، لأن" هذا الإله لا يعتني برعاية أبنائه، فالآباء من البشر أشد عناية منه بأبنائهم"[48]، فأي إله يفدي و يضحي بابنه تكفيرًا عن ذنوب وخطيئة لم يقترفها!، ألا يمكن لهذا الإله الإتيان بصاحب الخطيئة ومعاقبته حتى يكفر عن ذنبه؟ بموت هذا الإله تتهدم دعائم العالم، وتزول الحدود التي كان الإنسان عاجزًا عن تجاوزها.
أوجُه الصراع ضد الكنيسة كثيرة؛ لم يكن نيتشه السباق إلى نقد المسيحية وأخلاقها وقيمها وإلهاها، كما أنه لم ينطلق من فراغ بل مهد له العديد من الفلاسفة والمفكرين وحتى الشعراء إضافة إلى فيورباخ وكارل ماركس Marx، هذا الألماني اليهودي الأصل الذي بدأت ثورته ضد الدين مع كتابه (**حياة يسوع**)، كما كان نقده هذا نقطة بداية حاسمة لنقدٍ أعمّ لعالم مقلوب، كان الدين فيه مجرد نظرية عامة، باعتباره التحقيق الوهمي لجوهر الإنسانية، ولأن الجوهر الإنساني لم يحقق أي وجود حقيقي، لذلك يكون الصراع ضد الدين هو بشكل غير مباشر هو صراع ضد ذاك العالم الذي يكون فيه الدين عبيره الروحي، والمعاناة الدينية هي في الآن نفسه، تعبير عن معاناة حقيقية واحتجاج على معاناة حقيقية، إن الدين ما هو إلاّ

تنهيدة المخلوق المضطهد. قلبٌ لعالم لا قلب له وروح الأوضاع التي لا روح لها، إنه أفيون الشعب، من هنا يبدو ماركس متعاطفًا مع الدين باعتباره تعبيرًا عن معاناة، وسلوانًا ضروريًا للمضطهدين، لكن إبطال الدين باعتباره سعادة الناس الوهمية يعني من جهة أخرى طلبٌ لسعادتهم الحقيقية المادية، بذا يتحول نقد السماء إلى نقد الأرض. في عام 1844م العام الذي ولد فيه نيتشه، يشير ماركس في كتابه (مقدمة لنقد فلسفة الحق عند هيغل) إلى أن نقد السماء يتحول إلى نقد الأرض، ونقد الدين إلى نقد القانون، ونقد اللاهوت إلى نقد السياسة، ونقد الدين جعل الفلسفة والعلم ممكنين. وبالتالي يستخلص ماركس أن المسيحية لا يمكن مصالحتها والعقل، لأن العقلين العلماني والروحي يناقضان بعضهما البعض.

أما الشاعر الألماني غوته Goethe الذي كان ملهمًا لنيتشه، فقد سخر من القساوسة عندما يصف تعاليمهم بأنها مجرد ثرثرة فارغة لا معنى لها. فنيتشه كان يشتمّ من المسيحية رائحة نتنة كريهة منفرة، ويصفها بأنها سمٌّ، أما غوته بدوره كان يشتم من المسيحية الرائحة نفسها ويصفها بالوصف نفسه، بهذا لم يكن نيتشه الوحيد الذي حمل مطرقة يهدم بها الأصنام المسيحية. فهذا كله لا يمثل سوى صراعًا ضد الطبائع الرعاعية، ضد سيطرة قوم أشد حصافة وأشد عمقًا، ومنه تكون المسيحية انتصارًا وسيطرةً على أنبل فكر كان قائمًا ألا وهو الفكر اليوناني، كما على أسمى القوى كقوة وعظمة الإمبراطورية الرومانية، يقول نيتشه " لقد كانت المسيحية مصاص دماء الإمبراطورية الرومانية، وقد أفسد بين المساء والفجر العمل الواسع للرومان للفوز بأرض لأجل حضارة عظمى تمتلك الزمان. افذلك غير مفهوم حتّى الآن؟ الإمبراطورية الرومانية التي نعرفها، تاريخ المقاطعات التي تجعلنا كلّ مرة نعرف أكثر: أكبر عمل فني معجب من طراز رفيع، كانت بداية فقط، وبناؤُها حسب ليكون مشهودًا عبر ألفيّات؛ وحتّى اليوم لم يشهد مثيلاً لهذا، ولا حتى فكر بالبناء على المقياس نفسه لأجل الخلود"[(49)].

لقد تمكنت الأخلاق المسيحية في نظر نيتشه من ترويض وتدجين الإنسان ذلك (الوحش الأشقر)، ذلك المخلوق الذي كان ثمرة القيم العليا الأرستقراطية النبيلة التي يتحلى بها الأقوياء، والذي لا يقصد به الألمان المحدثين، بل كل من قدماء العرب واليابانيين والإغريق والرومان وكذا القبائل الجرمانية القديمة، هؤلاء الذين يصورهم أعداؤهم بأنهم برابرة يغيرون ويَسلِبُون ويغتصبون. أصبح مسلوب الإرادة والقوة في ظل القيم والأخلاق المسيحية، حيث جعلت منه مخلوقًا منهكًا عاجزًا، انتقل من حيوان مفترس إلى حيوان وديع، هذا ما تمكنت الكنيسة خاصة في العصور الوسطى من تحقيقه، حيث روضت تلك الشعوب المتوحشة فكانت لها القدرة على وضعها في الأديرة، ولهذا كانت أخلاق العبيد مؤامرة ضد الحياة، مؤامرة تهدف إلى اقتلاع الحياة من جذورها، وإحلال إرادة إماتة الحياة محل إرادة الحياة.

1- المسيحية دين الشفقة

تعتبر المسيحية دين الشفقة والرحمة، ومع ذلك فللشفقة تأثيرها الكئيب على الإنسان، إذ أنها تفقده قواه، يقول دولوز في كتابه نيتشه" الشفقة تتعارض مع الانفعالات المقوية التي تزيد من طاقة الحس الحيوي: تفعل بطريقة منهكة"[(50)]، فتسري فيه المعاناة كالوباء، وتؤدي أحيانًا إلى افتقاد الحياة بصورة جماعية، كما أنها تحبط مساعي قانون التطور والانتخاب الطبيعي؛ لأنها تدافع عن الحياة المحرومة الحقيرة لصالح الأنواع العليلة التي تسعى للحفاظ على حياتها" وتدافع عن نفسها لصالح المحرومين والمرذولين في الحياة"[(51)]، وهي بذلك

تضفي على الحياة مظهرًا كئيبًا مريبًا" فكان مؤسس المسيحية يفترض أن لا شيء يؤلم البشر أكثر من خطاياهم، فكان هذا خطأه...هكذا كانت نفسه تمتلئ بهذه الشفقة الرائعة والخيالية نحو إثم"[52] يناهض نيتشه هذا النوع من الشعور، ويحث الذي يرغب في مساعدة أصدقائه أن يبدأ بمساعدة نفسه، ثم أن يجعل هؤلاء أشد شجاعة، وأشد قساوة وأشد بساطة وفرحًا، وأن يعلمهم ما تعرفه قلة البشر[53].

يرى نيتشه أن في كل أخلاق نبيلة تعبير عن الضعف، وأن شوبنهاور كان محقًا عندما رأى أننا ننكر الحياة ونجعلها خليقة بهذا الإنكار عندما نشعر بالشفقة، فالشفقة – في رأي نيتشه- هي العدمية العملية أو ممارسة العدمية، وهي الغريزة الكئيبة المعدية التي تحبط الغرائز الأخرى وتحبط سعيها إلى حفظ قيمة الحياة وإعلائها؛ فهي غريزة تبقي على كل ما يثير البؤس، كما أنها أحد الوسائل الأساسية المساعدة على التدهور، وتحملنا على الاعتقاد في العدم.

ولكن شوبنهاور كان معاديًا للحياة، ولذا أصبحت الشفقة لديه فضيلة من الفضائل، أما أرسطو فذهب إلى أن الشفقة عاطفة معتلة سقيمة وخطرة، ويحسن بالمرء أن يحصل عليها من آن لآخر كتطهير للنفس من شهواتها. وما من شيء في عصرنا الحديث يعبر عن المرض واعتلال أكثر من الشفقة التي تنادي بها المسيحية، فهي في ظاهرها تعطف مع الآخرين ورغبة في مشاركتهم كل مشاعرهم، لكنها في حقيقتها أنانية مقنعة، فالإنسان يشفق على الآخرين خوفًا من أن يحدث له ما حدث معهم. أما حب البشر الحقيقي فهو يحتاج طبيبًا عنيدًا قاسي القلب وهي المهمة التي أسندها نيتشه للفيلسوف، باعتباره يمثل الضمير المعذب لعصره، يقبض على المبضع براحتيه، وبذلك وحده نصبح فلاسفة« هيبربوريانز» [54].

وإذا كان نيتشه قد هاجم المسيحية على أنها دين الشفقة، فذلك لأن الشفقة تعبر عن انفعال كئيب يوهن حيويتنا، ويخرس الصوت السامي للحياة، ويؤدي إلى الضعف والإنهاك،" إنّ التصور المسيحي لله-الله، إله المرضى، الله العنكبوت، الله الروح- هو أحد التصورات الالهية الأكثر فسادًا التي حدث أن تحققت على الأرض"[55]، فالإله المسيحي هو إله المريض الذي يعارض كل الدوافع الطبيعية في الحياة الرفيعة السامية.

الشفقة مرتبطة بمبدأ أخر ألا و هو الغيرية، في نظر نيتشه الغيرية ليست إلاّ إفقار الذات وإضعافها، بمعنى أخر هي هروب من النفس تجاه الغير دون مواجهتها مواجهة صريحة، فحب الجار ليس تعبيرًا عن كمال ذاتي فائض بل هو حب سيء للذات على حد تعبير نيتشه" ذلك لأن مواجهة الإنسان لنفسه، وبذله كل جهوده لبعث الكمال فيها، هو أمر عسير إلى أبعد حدٍ، وكثيرًا ما يحس المرء ميلاً قويًا إلى الهروب من مواجهة ذاته، والتحول عن سعيه إلى كمالها، فتنصرف طاقته وفاعليته، وتتخذ شكل الغيرية"[56]، غير أن التعبيرات التي استخدمها نيتشه كانت عنيفة إلى حدٍ ما، لأنه لم تكن الشفقة ولا الغيرية هروبًا من الذات دائمًا، ولا هي مظهر من مظاهر حبنا السيئ لها.

2- نيتشه ضدّ القسّ " الكاهن"

لقد قلب رجل الدين الحقيقة رأسًا على عقب عندما تصور أن الدفاع المتعمد عن إنكار الحياة يمثل الحقيقة، وفي حالة الإيمان يغمض المرء عينيه بكل الاحترام لذاته طلبًا للخير، وذلك حتى لا يعاني من مشهد الخطأ والزيف الذي لا يرجى منه شفاء [57].

يقول نيتشه لقد نقبت عن غريزة اللاهوتي في كل مكان، فوجدت أنها أكثر الأشكال انتشارًا، وتميزًا، وخفاء، وتعبيرًا عن الزيف، فما يراه صحيحًا أمر خاطئ، وذلك هو معيار الحقيقة

عنده، وحينما يمتد تأثيره ينقلب حكم القيم على عقبيه، وتنعكس مفاهيم الصدق والكذب بالضرورة، ويسمى أكثر الأشياء إضرارا بالحياة « بالصادق»، ويسمى ما يرفع من قيمة الحياة ويؤكدها، ويركزها ويبررها، ويجعلها تنتصر « بالكاذب»، يقول دولوز في كتابه (نيتشه): "يحتاج المنحطون إلى الكذب، فهذا أحد شروط وجودهم"(58)، وإذا ما سيطر رجال الدين على مقاليد الأمور، فلن تكون هناك سوى النهاية، أو أراد العدمية التي تبحث عن« القوة»، ويرى نيتشه أن الفضيلة ينبغي أن تكون من إبداعنا، وأن ما يقيد حياتنا ويؤذيها هو الفضيلة المستمدة من الشعور بالاحترام نحو مفهوم الفضيلة.

فذهب إلى أن المسيحية تحتاج إلى المرض حاجة الهللينية إلى الصحة المفرطة، وأن عالم المتدين الداخلي يشبه العالم الداخلي للمنهك والمتعب والمصاب بالإعياء. " المسيحية كانت نصرًا، و بها حُطمت ذهنيّة أكثر نبلاً. لقد كانت المسيحية حتى اليوم البليّة المشؤومة الأكبر ضدّ البشرية"(59). هي تعارض كل تكوين عقلي سليم، وترى أن العقل السقيم وحده هو العقل المسيحي، وتلعن الروح التي تتمتع بالصحة؛ لأن المرض يعبر عن جوهرها، فالحالة المسيحية النموذجية أو « الإيمان » هو صورة من صور المرض، وفيها يظهر نوع من الزيف الغريزي يقوم على الكذب من أجل الكذب، والعجز عن الرؤية النافذة، والفعل المستقيم، مما يعبر عن التدهور والانحطاط، فالإيمان يعني عدم الرغبة في معرفة الحقيقة، ورجل الدين يرى أن الخير هو ما يجعل المرء مريضًا، وأن كل ما ينتج عن الوفرة والغزارة والقوة شر مستطير.

إذن التصور الزائف للقيم في المسيحية أباح الكذب إلى أن أصبح فنًا مقدسًا باعتباره السمة الجوهرية التي يتصف بها اليهودي كونه العدو الحقيقي الحاقد على قيم الصدق والنبل والقوة" فجماع اليهودية التي هي تشدد في الممارسة وتكنيك يهودي دنيوي بالغ الجدية، تحصل براعتها النهائية في المسيحية بمفهومها فنّ الكذب المقدس. المسيحي، العلة النهائية للكذب، هو اليهودي مضعّفًا، بل اليهودي مثلّثًا"(60)، هذا ما يترجم طبيعة الضمير الحاقد المنتقم من كل قوة عليا عليه.

كما يلاحظ أيضًا أن كل رجل دين يؤمن بالحتمية والجبر، ويتصف بالقصور في مجال الفيلولوجيا وهي التي تعني « فن القراءة الصحيحة »، أو فن القدرة على قراءة الوقائع بدون تزييفها من خلال التفسير، وبدون فقد الحذر والصبر اللازمين للفهم، إن نيتشه يرى في القديس بولس ثورة مزدوجة للكاهن ولقيم الانحطاط. فالكهنة يستولون على السلطة حينما تأخذ الحياة في الانحطاط، ثم يتساءل نيتشه كيف صارت البشارة السعيدة التي جاء بها المسيح نذارة مشؤومة، وكيف تحول البشير إلى نذير؟ من يكون المسبب في هذا التحول؟ يدعون إلى مساءلة القديس بولس، فعنده الخبر اليقين. فهذا الحبر الحقود هو الذي دمر بساطة المسيحية الأصلية، وأحلّ محلها تعقيدات لاهوتية دخيلة كما أوضحنا أنفًا، فجعل منها" دينًا جبارًا يقول بالإله المصلوب نبيًا وبالإيمان بالخلاص مسلكًا وبالحشر بعد الموت مصيرًا.. فكان أن حول دين المسيح إلى دين وضعي ناهضٌ على مفاهيم غريبة، شأن الخطيئة، والمغفرة والإثابة والشفاعة، مؤمن بالمعجزات والكرامات والشعبذات"(61)، بولس باعتباره قسًا قلب الحسن إلى القبح، الحياة إلى موت، الأرض إلى سماء، الواقع إلى وهم، هذا الكاهن الذي تجرأ على قلب القيم، ذلك الكاهن اليهودي الذي شوه تراث ملوك إسرائيل والعهد القديم، الذي شرّع بالقول" التعساء وحدهم هم الطيبون، الفقراء العاجزون، والصغار هم وحدهم الطيبون، أولئك الذين يتألمون، والمحتاجون، والمرضى والمشوهون هم أيضًا

الأتقياء الوحيدون، الوحيدون، الحاظون ببركة الله، هم وحدهم من سيمتلكون الغبطة، على العكس، أنتم الآخرين، أنتم النبلاء والقادرين، كنتم دائمًا الأشرار، والقساة والجشعين، ومن لا يشبعون، والزناديق، وسوف تبقون أيضًا إلى الأبد المنبوذين والملعونين والهالكين"[62]، لقد افسد الكاهن باعتباره الطبيب الأثيم كما يصفه نيتشه، الصحة النفسية، فأفسد الذوق، وأفسد كل شيء، فخلق هذا الصنف من البشر المرضى، المحتاجين الضعفاء، فغرس فيهم فكرة الإرتكاس، فجعل منهم ارتكاسيون. امتد نقد نيتشه من بولس ليشمل كل رجال الدين، وبالضبط عن قديسي المسيحية إنهم لم يكونوا يتحملوا الحياة إلا مع التفكير بأن فضيلتهم ستقود كل واحد إلى العدم، والحال أيضًا كما يقول نيتشه أعتبر بهيمية كل فضيلة تؤثر بهذا الشكل[63].

وينتقد نيتشه على نحو خاص معاداة المسيحية للجسم والقوة والمرح والحرية، فلقد نشأة المسيحية من الضعف والإخفاق والاستياء. وخلقت مساواة زائفة، وأصابت طاقتنا الحيوية بالشلل تحت شعار القداسة المزيفة، إن قوانين الحياة أسمى من المثالية المسيحية.

فالمؤمن متواكل، لا يستطيع أن يضع الغايات بنفسه، ولا يشعر بالانتماء إلى ذاته، وتتمثل غريزته في أعلى أنواع إنكار الذات، والإيمان في جملته يعبر عن إنكار الذات والاغتراب الذاتي؛ فالمسيحية تهدف إلى تسميم الحياة، و إنكارها، واحتقار الجسد والافتراء على الإنسانية، وإلى « الخطيئة » كمفهوم يقسو به المرء على ذاته[64].

خاتمة:

في نهاية هذا المقال يتبين لنا حسب نيتشه أن المسيحية قد أصبحت في العهد الجديد مخالفة تمامًا لما أتى به وأراده مؤسسها الأول، لقد أضحت أكبر مؤامرة ضد الحياة، أكبر أكذوبة اختُلقت لصالح المضطهدين المرضى والضعفاء لغاية تدجين السادة الأقوياء، لقد حطمت أكثر النفوس قوة ونبلاً، هي أبشع انحطاط قدمته لنا الحضارة. لذا يجب اقتلاع واستئصال المعيار المسيحي العدمي من كل مكان ومحاربته.

لم يكتف نيتشه بنقد أخلاق وقيم الدين، بل أنبأ في جُل مؤلفاته بقلب تراتب القيم عما كان سائدًا، بميلاد كائن خارق متجاوز، هو إنسان أعلى" Le Surhomme" قوامه إرادة الحياة، ذلك بإرادة القوة في اختراق المألوف، وخلق قيم جديدة تؤول إلى ما هو أرضي مغاير للمثالي الميتافيزيقي، مثاله أخلاق ديونيزوس.

---

(1) **الجنيالوجيا La Généalogie:** إن المعنى الحرفي لكلمة جنيالوجيا، هو دراسة النشأة والتكوين لإثبات النسب والوقوف عند الأصل، هذا ما يؤكده نيتشه في مقدمة كتابه (جنيالوجيا الأخلاق) بقوله: " إن الأمر يتعلق هنا بتأملات حول أصل أحكامنا الأخلاقية المسبقة"، غير أن مرمى التاريخ الجنيالوجي ليس هو استعادة جذور الهوية وإنما القضاء عليها. الجنيالوجيا في الحقيقة هي اختراق ومجاوزة أو تقويض كل ما هو ميتافيزيقي، إنها رجوع إلى الوراء ومحاولة لاسترجاع الاختفاء الذي كان وراء كل انكشاف، والغياب الذي كان خلف كل حضور بلغة الفرنسي ميشال فوكو. يحكي لنا نيتشه في أفول الأصنام كيف " أصبح عالم الحقيقة في النهاية حكاية"، وكيف اختفى عالم الميتافيزيقا، العالم الأفلاطوني والمسيحي والمثالي الذي كان مرجع عالم الظواهر، ثم يتساءل: ماذا يتبقى لنا بعد هذا الاختفاء؟. الجنيالوجيا باعتبارها منهج نيتشه الذي يتناول من خلاله فهم وتأويل الحقائق.

(2) أنور الجندي، الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة (الموسوعة الإسلامية العربية)، الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب اللبناني- دار الكتاب العالمي، 1987م، ص: 167، 168.

(3) F. Nietzsche, Œuvres Philosophiques Complètes, tome XIII, (Fragments de posthumes, automne 1887- mars 1888), trad. P.Klosswski, n.r.f, Gallimard, 1986. p. 289.

(4) مجمع نيقية: دعا إليه الإمبراطور قسطنطين، أخذا على عاتقه صيانة وحدة الكنيسة، لصيانة وحدة الإمبراطورية. هذا من بين الأحداث الهامة التي ميزت القرن الرابع ميلادية، وسبق هذا المجمع عدة مجمعات أخرى، هي التي غيرت مجرى العقيدة والديانة المسيحية.

(5) ج. ويلتر، الهرطقة في المسيحية (تاريخ البدع والفرق الدينية المسيحية)، تعريب جمال سالم، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت، (د. ط)، 2007م، ص: 47، 48.

(6) F. Nietzsche, Aurore, Paris, Gallimard, coll. Idées, 1970, § 84, pp.92-93.

(7) Philippe Gaudin, La religion de Nietzsche (La religion des philosophes), Les Editions de l'Atelier/ Editions Ouvrières, Paris, 2008. p.40.

(8) فريدريك نيتشه، عدو المسيح، تر: جورج ميخائيل ديب، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2001م، شذرة 24، ص: 71.

(9) التي عاصرت رسل المسيح.

(10) احتفالات كانت تتم لإطلاع المهتدي الجديد إلى الديانة على أسرارها وطقوسها.

(11) أعمال الرسل؛ وهم أتباع يسوع.

(12) القديس بولس Saint Paul: هو شاؤول اليهودي الروماني عاصر المسيح و الذي كان في أول عهده من أعظم أعداء المسيحية، ومن أنشط المضطهدين لفئة الحواريين القليلة العدد، فأنزل بهم ألوانًا من الاضطهاد والقتل والتعذيب، ثم تحول فجأة إلى المسيحية وغير اسمه فجعله (بولس)، وهو الذي يعد في الحقيقة مؤسس المسيحية الغربية المعروفة.

(13) الشاندالا Tchandala؛ يقصد به نيتشه الإنسان الذي لا عرق له، المزيج الخلاسي، هو الإنسان الضعيف الذي يثير الشفقة. (أفول الأصنام، ترجمة حسان بورقية ومحمد الناجي).

(14) فريدريك نيتشه، عدو المسيح، المصدر نفسه، شذرة 58، ص:174.

(15) أويغن فنك، فلسفة نيتشه، تر: الياس بديوي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، (د. ط)، 1974م، ص: 163.

(16) أنور الجندي، المرجع السابق، ص: 171.

(17) فريدريك نيتشه، عدو المسيح ، مصدر سابق، شذرة 41، ص: 115.

(18) المصدر نفسه، شذرة 40، ص: 112.

(19) أنور الجندي، المرجع نفسه ، ص: 175.

(20) ج. ويلتر، المرجع السابق ، ص: 49، 50.

(21) فريدريك نيتشه، عدو المسيح، المصدر نفسه، شذرة 42، ص:118، 119.

(22) أنور الجندي، المرجع السابق، ص: 176.

(23) F. Nietzsche, Le crépuscule des Idoles, (Ou Comment philosopher à coups de marteau), T. établis par Giorgio Colli et Mazzino Montinari, trad. Jean-Claude Hémery, Gallimard, 2006, **Le problème de Socrate**. § 11. p. 24.

(24) F. Nietzsche, Le gai savoir, La Gaya Scienza, Introduction et traduction de Pierre Klossowski, Club Français du livre, Union Générale d'édition, Paris, 1957. § 151. p. 227.

(25) فريدريك نيتشه، جينيالوجيا الأخلاق، تر: محمد الناجي، إفريقيا الشرق، المغرب، (د،ط)، 2006م، شذرة 24، ص: 133.

(26) **ج. ويلتر**، المرجع السابق، ص: 51.

(27) جميل صليبا، من أفلاطون إلى ابن سينا (محاضرات في الفلسفة العربية)، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1981م، ص: 82.

(28) ج. ويلتر، المرجع السابق، ص: 52.

(29) Philippe Gaudin, Ibid. p. 54.

(30) Nietzsche. F, Aurore, Ibid. § 68, p.79.

(31) Nietzsche. F, La généalogie de la morale, Paris, Gallimard, coll. Œuvres philosophiques, 1971, p.333.

(32) داود علي الفاضي، أصول المسيحية (كما يصورها القرآن الكريم)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، (د. ط)، 1986م، ص: 280.

(33) فريدريك نيتشه، عدو المسيح، المصدر السابق، شذرة 10، ص: 38،39.

(34) داود علي الفاضي، المرجع نفسه، ص: 276، 277.

(35) كلمة "الإله" التي يرددها نيتشه في الحقيقة هي بعيدة تمامًا عن المدلول الديني لها، بل هي علم وجود يظهر في صورة الأخلاق المعادية للحياة، أي أن نيتشه يتناول تحت قناع كلمة (الإله) العلاقة بين الفكرة الأنطولوجية والمثل الأعلى.

(36) فريدريك نيتشه، العلم الجذل، تر: سعاد حرب، دار المنتخب العربي للدراسات و النشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1، 2001م، شذرة 135، ص: 122.

(37) جمال مفرج، نيتشه الفيلسوف الثائر، أفريقيا الشرق- المغرب، (د.ط)، 2003م، ص: 37.

(38) فريدريك نيتشه، أصل الأخلاق وفصلها، تعريب حسن قبيسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1981م، ص: 38.

(39) فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الجيل، بيروت، ط1، 1993م، ص: 187.

(40) المرجع نفسه، ص: 188.

(41) المرجع نفسه، ص: 189.

(42) فؤاد زكرياء، نوابغ الفكر الغربي (نيتشه)، دار المعارف، مصر، ط2، (د. ت)، ص: 93.

(43) يسري ابراهيم، نيتشه عدو المسيح، سينا للنشر، القاهرة، (د.ط)، 1990م، ص: 151.

(44) فريدريك نيتشه، أصل الأخلاق وفصلها، المصدرالسابق، القسم الأول، شذرة 6، ص: 29.

(45) جمال مفرج، نيتشه الفيلسوف الثائر، المرجع السابق، ص:44.

(46) فريدريك نيتشه، المصدر نفسه، شذرة 18، ص:57،58.

(47) فريدريك نيتشه، هكذا تكلم زارادشت، تر: فليكس فارس، مطبعة جريدة البصير، الإسكندرية، (د،ط)، 1938م، مستهل زارادشت، ص: 5.

(48) المصدر نفسه، الآبقون، ص: 153.

(49) فريدريك نيتشه، هكذا تكلم زارادشت، المصدر نفسه، شذرة 58، ص: 173.

(50) جيل دولوز، نيتشه، تعريب: أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط1، 1998م، ص: 95.

(51) المرجع نفسه، الموضع نفسه.

(52) فريدريك نيتشه، العلم الجذل، المصدر السابق، شذرة 138، ص: 124.

(53) المصدر نفسه، شذرة 338، ص: 189.

(54) صفاء عبد السلام علي جعفر، محاولة جديدة لقراءة فريدريش نيتشه، دار المعرفة الجامعية، (د. ط)، 2001م، ص: 340، 341.

(55) جيل دولوز، نيتشه، المرجع السابق، ص: 96.

(56) فؤاد زكرياء، نوابغ الفكر الغربي (نيتشه)، المرجع السابق، ص: 88.

(57) صفاء عبد السلام علي جعفر، المرجع السابق، ص: 342.

(58) جيل دولوز، نيتشه، المرجع السابق، ص: 91.

(59) فريدريك نيتشه، العلم الجذل، المصدر السابق، شذرة 51، ص: 148.

(60) فريدريك نيتشه، عدو المسيح ، المصدر السابق، شذرة 44، ص: 123.

(61) محمد الشيخ، نقد الحداثة في فكر نيتشه، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2008م، ص: 171.

(62) فريدريك نيتشه، أصل الأخلاق وفصلها، المصدر السابق، المبحث الثالث، شذرة 14، ص: 120.

(63) فريدريك نيتشه، العلم الجذل، المصدر السابق، شذرة 150، ص: 129.

(64) صفاء عبد السلام علي جعفر، المرجع السابق، ص: 343، 344.